اكتساب اللغة بين منهجي
الفكر اللغوي العربي القديم
واللسانيات الحديثة

د. ابتهال محمد علي البار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ECRC
European Centre for Research & Consultancy
LONDON

المؤتمر الدولي العلمي الخامس للمركز الأوروبي للبحوث والاستشارات

في العلوم الإنسانية والاجتماعية تحت شعار "زوايا متجددة" في بروكسل – بلجيكا

بروكسل – بلجيكا ـ جامعة سانت لويس

2018 / 3 / 22 - 21

اكتساب اللغة بين منهجي: الفكر اللغوي العربي القديم و اللسانيات الحديثة

إعداد:

د/ ابتهال محمد البار

جامعة الملك عبدالعزيز– المملكة العربية السعودية

Email: ealbar10@gmail.com

Ref: 5/2018/117

ISBN 978-1-9996437-1-3

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شغلت قضية اكتساب اللغة الكثير من اللغويين القدامى والمحدَثين و تهدف هذ الورقة إلى تسليط الضوء على مفهوم الاكتساب اللغوي في الدرس اللغوي القديم، وفي الدرس اللساني الحديث.

وتجيب عن سؤال رئيس هو: ما هي أوجه الاتفاق والافتراق بين المنهج العربي التراثي والمنهج اللساني الحديث في تفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي؟

وتسعى هذه الورقة إلى الوقوف على أبرز آراء العلماء في تحليل ظاهرة الاكتساب اللغوي قديما وحديثا، وفقا للمنهج الوصفي المقارن الذي يسعى لإبراز نقاط الالتقاء والاختلاف بين آراء اللغويين القدامى والمحدثين. ولا شك أن هذه نتائج هذه المقارنة تُسهم في عملية تعليم اللغة وتحسينها وتطويرها.

وقبل أن نعرّج على قضية الاكتساب اللغوي، لابد من التفريق بين مصطلحين، هما: الاكتساب وتعلم اللغة.

اكتساب اللغة: يُقصد به العملية اللاشعورية وغير المقصودة التي يتعلم بها الشخص لغته الأم في مواقف طبعية، دون تخطيط مسبق، وهو ما يحدث عند الأطفال في اكتسابهم لغتهم الأم بشكل فطري، مستعينين بالقدرات الهائلة التي زود الله بها العقل البشري؛ لإنجاز اكتساب اللغة في وقت قياسي.

أما تعلّم اللغة: فهو عملية مقصودة وواعية، وبتخطيط مُسبق من أطراف مختلفة، مثل: المعلم والمتعلم والمؤسسات التعليمية، ويتعلم الفرد اللغة غالبا في بيئة مُصطنعة بخلاف اكتساب اللغة الذي يتم بطريقة فطرية.[1]

ولا شك أن الاختلاف بين الاكتساب اللغوي وتعلم اللغة ينعكس على طرق التدريس والاستراتيجيات والأهداف.

وسوف نتناول في هذه الورقة آراء العلماء في الاكتساب اللغوي.

---

1 انظر: الفوزان، عبدالرحمن، **إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها**، العربية للجميع، الرياض، 2015م ،ص30

أولا: ابن خلدون

تحدّث ابن خلدون في مقدّمته عن فلسفته في تحليل ظاهرة الاكتساب اللغوي ابتداء من تعريفه للملكة اللسانية فهو يرى إن تمام الملكة اللسانية يكون بالنظر الى التراكيب اللغوية لا المفردات وهذه التراكيب تعبر عن المعاني المقصودة فيتحقق بها الافهام ويراعى فيها موافقة مقتضى الحال والمقام[1]

ويرى ابن خلدون أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة، وليست جودة الملكة بالنظر إلى المفردات بل بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ للتعبير عن المعاني المرادة، وتمّ مراعاة مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مراده ومقصوده للسامع[2]

كما يرى ابن خلدون أن تمكّن المتكلم من اكتساب اللغة لا يتم إلا من خلال التكرار، فالملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، فحين يزيد التكرار تتحول من صفة غير راسخة إلى ملكة، أي إلى صفة راسخة، فالمتكلم من العرب كانت ملكته اللغة العربية، وكان يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في المخاطبات، وكيفية تعبيرهم عن مقصدهم، ومرادهم كما يسمع الصغير استعمال المفردات فيتعلمها أولا ثم يسمع التراكيب، ثم يتكرر السماع ويتجدد حتى تصبح ملكة راسخة. [3]

وعند مقارنة آراء ابن خلدون باللغويين المحدثين نجده يتفق مع بعض الاتجاهات اللسانية في علم اللغة الحديث الذي يرى أن الجمل وليس المفردات هي المحور التواصل الإنساني في حالتي الأداء اللغوي والفهم.[4]

كما أن نظرة ابن خلدون في اكتساب اللغة تتفق مع مبادئ المدرسة السلوكية ورائدها بلومفيلد، وهي تقوم على التركيز على العلاقة بين المثير والاستجابة ، واللغة ليست الا نوعا من أنوع الاستجابة لمثيرات مختلفة في البيئة اللغوية، وليست هي الشكل الوحيد، فقد تكون الاستجابة رد فعل لغوي أو عملي ، وقد يترافقان .فإذا كان المثير رؤية شيء مثل (حيوان مفترس) فقد تكون الاستجابة اللغوية هي التحذير منه أو رد فعل عملي وهو الجري بعيدا عن مكان الخطر[5] كما ترى المدرسة السلوكية أن تعلم اللغة مرهون بالعوامل الخارجية ،فالمحيط اللغوي البيئي يتحمل مسؤولية التعزيز والتدعيم، فاللغة ليست إلا سلوكا من أنواع السلوكيات التي ينجزها الفرد لذا تؤكد النظرية السلوكية على دور التواصل في الإنجاز اللغوي[6]

وهذا ما أكده ابن خلدون فهو يرى أن ملكة اللغة تُكتسب من أعراف التخاطب في الأمصار، والأمصار تتعرض للفتوحات والاختلاط بين أجناس البشر، وكل هذا يؤثّر في نوعية الملكة اللغوية التي يكتسبها الناس، والحكم بفساد اللسان أو صلاحه ليس أمرا لغويا كما يراه ابن خلدون بل هو أمر اجتماعي، يُحكم عليه بقدر مخالفة اللسان لغة القرآن الكريم العربية الفصيحة[7]

---

1 عيد، محمد، **الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون**، عالم الكتب: القاهرة، 1979م ، ص25

2 ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتاب العربي بيروت، ص544

3 انظر: **المرجع السابق**، ص554،555

4 انظر خليل، حلمي، **دراسات في اللسانيات التطبيقية**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 2000م، ص114

5 انظر: دراج، عبد العزيز، **الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم العربية** (الرياض: مكتبة الرشد) 2003م، ص104

6 انظر: **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد 493، 2006م

7 انظر العمايرة، محمد، **بحوث في اللغة والتربية**،(الأردن: دار وائل للنشر) 2002م، ص197

وقد صرّح بهذه الآراء في مقدمته؛ إذ يُعلّل اختلاف لغة أهل المشرق عن أهل المغرب والأندلس بأنه البعد عن اللسان الأول بسبب مخالطة العجمة ،فمن خالط العجم أكثر كانت لغته أبعد عن اللسان الأصلي، وعلى مقدار ما يسمعون من كلام العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى.[1]

وترى المدرسة السلوكية أن الإنسان يولد وذهنه صفحة بيضاء، ويتم اكتساب اللغة من خلال التكرار والممارسة في البيئة اللغوية عن طريق المحاكاة والتقليد[2]، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بأن الملكة تحصل بالتكرار والممارسة والاعتياد لكلام العرب فإن تساءل أحد عن فصاحة أعلام العربية وحصول الملكة اللغوية لهم ،مثل: سيبويه، والفارسي، والزمخشري، وأمثالهم مع أنهم كانوا أعجاما ، فاعلم أنهم كانوا عجما في النسب فحسب، أما المرْبى والمنشأ فكان بين العرب، ومن تعلّمها منهم، حتى صاروا من أهل اللغة وإن كانوا عجما في النسب[3]

وقد رأى بعض الباحثين تحليل ابن خلدون لعملية اكتساب اللغة وأنه يتم بالتكرار و ملكة اللغة مثل الصناعات المختلفة، يتّفق مع نظرية النحو التوليدي التحويلي ورائدها تشومسكي الذي يؤكّد أن الطفل يولد ولديه جهاز اكتساب لغوي، ومعرفة فطرية سابقة لتعلم اللغة [4]، فالملكة في رأيه هي القدرة على اكتساب اللغة في نظرية النحو التوليدي التحويلي.[5]

ونختلف مع الباحث في هذا الرأي لأن مدرسة النحو التوليدي التحويلي جاءت بهجوم عنيف وشديد للمدرسة السلوكية وانتقدت آراء بلومفيلد، فإحدى ركائز المدرسة السلوكية فكرة أن الاستجابة الكلامية للمثيرات المختلفة شبيهة باستجابة الحيوان للحوافز ، لكنها لاقت هجوما عنيفا من تشومسكي الذي يرى أن اللغة الإنسانية تختلف اختلافا جذريا عن أي تنظيم اتصالي عند الحيوان، وأكّد تشومسكي رأيه بما نراه من تدرّج الطفل في الكلام، فهو يبدأ بإنتاج الجمل في سن سنتين أو ثلاث تقريبا، وما إن يصل إلى السادسة يكون قادرا على التعبير عما في نفسه بعدد كبير من الجمل التي لم يسمعها من قبل، كما أنه يكون قادرا على التمييز بين الجمل السليمة وغير السليمة في لغته ، وهو ما يُعرف بالحدْس اللغوي في نظرية تشومسكي، فالطفل يعرف تراكيب لغته معرفة شاملة إلى حد كبير وهو في السادسة من عمره تقريبا، أي بعد استماعه للغة أمه لمدة أربع سنوات فحسب من بداية إنتاجه للكلام، ويذهب إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة لا ليتعلم الكلام ويفهم المسموع، وهذه ظاهرة عجزت المدرسة السلوكية عن تفسيرها ، فحين يكون اكتساب اللغة بهذه السرعة لا يمكن أن يكون التكرار والمحاكاة والاستجابة للمثيرات هي وراء هذا الاكتساب اللغوي السريع، مما جعل تشومسكي يرى أن الطفل يولد وهو مزود بجهاز الاكتساب اللغوي الذي يمكّنه من اكتساب اللغة في وقت قياسي وقصير [6]

---

1 انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، مرجع سابق، ص558

2 انظر: عمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، (جدة: عالم المعرفة للتوزيع) 1984م، ص56

3 انظر ابن خلدون، **المقدمة**، مرجع سابق، ص 564، 563.

4 انظر: أبو عمشة، خالد، **نظريات اكتساب اللغة الثانية في الفكر اللغوي العربي** ، (عمان: كنوز المعرفة) 2018م، ص137

5 انظر: **المرجع السابق**، ص115

6 انظر: زكريا، **ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية**، ص27، 26

وإذا نظرنا إلى آراء الجاحظ في عملية اكتساب اللغة نجده يؤكد على دور التدريب والتكرار والممارسة، يقول في ذلك : وأيّ جارحة منعتها الحركة، ولم تمرّنها على الاستعمال، حصل لها من التعقّد على حسب ذلك المنع، ويرى أيضا أنه " إذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلّدت نفسه، وفسد حسّه"، ويقول عن بكر المزني: " طول الصمت حبسة" ويرى الجاحظ أن " اللسان إذا كثُر تحريكه رقّ ولان، وإذا أقللتَ تقليبه وأطلتَ إسكاته جسأ"[1] ويقول أيضا في علاج اضطرابات النطق والكلام: قد كانت لثغة لمحمد بن شبيب المتكلم، وكان إذا شاء أن يقول عمرو، ولعمري، وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيّؤ لذلك، فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملتَ هذا التكلّف والتّتبع شهرا واحدا أن لسانك سوف يستقيم.[2]

ويتضّح من هذه الورقة واستعراض آراء العلماء في عملية الاكتساب اللغوي ما يأتي:

-اهتمت الدراسات اللغوية العربية القديمة بالاكتساب اللغوي وتناولتها بالبحث والتحليل.

-ركّزت بعض الدراسات العربية التراثية على الدور الاجتماعي في نجاح اكتساب اللغة، وهو ما يتّفق مع النظرية السلوكية الحديثة، ولا شك أن البيئة اللغوية الثّريّة لها دور كبير في نجاح اكتساب اللغة لاسيّما في المراحل الأولى.

1 الجاحظ، أبوعثمان، **البيان والتبيين**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال) ج1/ ص272.

2 انظر: المرجع السابق، ج1، ص 50

المراجع:

1. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت.
2. أبو عمشة، خالد، نظريات اكتساب اللغة الثانية في الفكر اللغوي العربي، (عمان: كنوز المعرفة) 2018م.
3. الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
4. خليل، حلمي ، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 2000م
5. دراج، عبدالعزيز، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية. مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.
6. زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1987
7. عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها، جدة: عالم المعرفة للتوزيع 1984م،
8. العمايرة، مُحَمَّد، بحوث في اللغة والتربية، الأردن: دار وائل للنشر، 2002م.
9. عيد، مُحَمَّد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب: القاهرة، 1979م
10. الفوزان، عبد الرحمن، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، العربية للجميع، الرياض، 2015م